

الوظائف التواصلية والمعرفية للغات التخصص سيما لغة البحث العلمي

لامية جميات¹

تاريخ النشر 2016/07/01	تاريخ القبول 2016/06/01	تاريخ الإرسال 2016/05/01
------------------------	-------------------------	--------------------------

الملخص:

تكتسي لغات التخصص أهمية بالغة باعتبارها الوسيلة المثلى لتحقيق التواصل في إطار الخطاب المتخصص، نظرا للوظائف التواصلية والمعرفية التي تؤديها. و الأمر ذاته ينطبق على لغة البحث العلمي التي، و بغض النظر عن تأديتها لتلك الوظائف، فإنها تكتنف مجموعة من الميزات و السمات الخاصة على الصعيد اللغوي و الأسلوبي والمصطلحي. الأمر الذي يستدعي معرفة الناشطين في مجال البحث العلمي بها بل و إجادتهم لها حتى تكون لغتهم العلمية متوافقة و المعايير المنصوص عليها في إطار لغة البحث العلمي.

الكلمات المفتاحية: لغات التخصص – المصطلح – المفهوم – الوظائف التواصلية – الوظائف المعرفية

Résumé :

Les langues spécialisées sont d'une importance extrême vu qu'elles sont considérées comme étant le moyen optimal pour la réalisation de la communication dans le cadre du discours spécialisé, compte tenu de leurs fonctions communicatives et cognitives. Ce qui a été dit s'applique également à la langue de la recherche scientifique qui, mis à part les fonctions qu'elle assure, recouvre une série de particularités et de caractéristiques spéciales sur les volets linguistique, stylistique et terminologique. Les chercheurs scientifiques se trouvent, donc, dans l'obligation de connaître voire maîtriser ces particularités et caractéristiques afin que leur langue scientifique soit conforme aux critères stipulés par la langue de la recherche scientifique.

مقدمة:

¹ - جامعة يحيى فارس بالمدينة haioula@yahoo.fr

تكتسي لغات التخصص أهمية بالغة باعتبارها الأداة اللغوية التي يستخدمها المختصون للتواصل فيما بينهم أثناء تبادلهم الأفكار و المعارف المتعلقة بميدانهم المعرفي، هذا من جهة. و باعتبارها الوسيلة المثلى لنقل المعرفة المتخصصة و التعبير عنها عندما يتعلق الأمر بإنجاز البحوث العلمية في شتى المجالات، من جهة أخرى. و بناءً على ذلك، يعدّ استخدام اللغات التخصصية أمراً حاسماً بل و محورياً أساسياً في نقل المعرفة المتخصصة، نظراً للوظائف التواصلية و المعرفية التي تؤديها في ذات الإطار. و سنقوم في هذا البحث بتسليط الضوء على هذه الوظائف، إضافة لدراسة أهمّ مكونات لغات التخصص؛ من مثل ثنائية المصطلح و المفهوم و كذا مجموعة الخصائص اللغوية و الأسلوبية الواجب توافرها في لغات الاختصاص بشكل عامّ و لغة البحث العلمي بشكل خاصّ.

1- مقارنة بين اللغة العامة و لغات التخصص

1-1. مفهوم اللغة العامة:

تعتبر اللغة وسيلة للتواصل بين بني البشر، الذين يستخدمونها بغرض التعبير عمّا يجول في خواطرهم من أفكار و مشاعر. و بعبارة أدقّ، تعدّ "اللغة ظاهرة سيكولوجية اجتماعية ثقافية مكتسبة، لا صفة بيولوجية ملازمة للفرد. تتألف من مجموعة رموز صوتية لغوية، اكتسبت عن طريق الاختبار، معاني مقرّرة في الذهن. و بهذا النظام الرمزي الصوتي، تستطيع جماعة ما أن تتفاهم و تتفاعل"¹. بمعنى أنّ اللغة تتشكّل من مجموعة ألفاظ و مفردات، حيث تنطوي كل مفردة و كل لفظ على معاني محددة. و استعمال هذا النظام المفرداتي هو ما يسمح لأفراد المجتمع بالتواصل و التفاهم والتفاعل.

و لعل هذا ما يدفعنا إلى "إبراز ثلاثة عناصر رئيسية في طبيعة اللغة: أ- الطبيعة الصوتية للرموز اللغوية. ب- أنّ وظيفة اللغة الاجتماعية هي التعبير في إطار البيئة اللغوية. ج- أنّ اللغة تؤدي وظيفتها في مجتمع بعينه، فلكل قوم لغتهم"². و عليه، تكتسي اللغة بالنسبة لأيّ مجتمع كان، أهمية خاصة و مكانة مرموقة باعتبارها رمزا من رموز الهوية و الانتماء، هذا من جهة. و كونها تؤدي "وظائف متعددة، تتراوح من مجرد الإفادة عند التخاطب إلى نقل و اكتساب المعرفة المتخصصة، و من أهم هذه الوظائف تبليغ الأفكار و التأثير في النفس و احتواء المخزون الثقافي – التراثي لتكلمها"³ من جهة أخرى.

و لا تفوتنا الإشارة إلى السمة الأساسية المميّزة للغة العامة و المتمثلة في «الكلمة»؛ فاللغة العامة عبارة عن مجموعة كلمات، إذ تتميز أغلب كلمات اللغات بدورها بتعدد معانيها. تلك المعاني التي يتوقّف تحديدها على ما يسمّى بـ «السياق». و بعبارة أخرى، تُعتبر كلّ من ظاهرة «تعدد معاني الكلمة» و «السياق» عنصريين رئيسيين في إطار اللغة العامة.

1-2. مفهوم لغات التخصص:

قبل التعرّض لمفهوم لغات التخصص، تجدر الإشارة إلى نقطة هامة و المتمثلة في تعدّد التسميات المرادفة للغات التخصص، سواءً تعلق الأمر باللغة العربية أو باللغتين الفرنسية و الإسبانية. ففي اللغة العربية مثلا، صادفنا أثناء قراءتنا وبحثنا في المراجع، التسميات التالية: لغات التخصص - لغات الاختصاص - لغات مختصة - لغات تخصصية - لغات متخصصة - لغات خاصة. أمّا في اللغة الفرنسية، تراوحت التسميات بين:

Langues de spécialité – langues spécialisées – langages de spécialités – langages spécialisés – langues spéciales – langages spéciaux ...ext.

و على غرار الفرنسية، تنوّعت التسميات في اللغة الإسبانية بين:

Lenguas de especialidad – lenguas especializadas – lenguajes de especialidad – lenguajes especializados – lenguas especiales – lenguajes especiales ...ext.

يمكننا أن نُعرّف لغات التخصص بأنها تلك اللغات التي يستعملها المختصون للتعبير عن المفاهيم و الأفكار الخاصة بميادين اختصاصهم، باعتبارها أداةً للتواصل فيما بينهم. حيث "يكمن المقياس المُميّز للغات الاختصاص في الأشخاص أو مجموعة من المتدخلين في تواصل مختص. [...] لكن، فيما يتعلق بالمعارف التي يجب تبادلها و الوسائل الموضوعية لتبليغ هذه المعارف، فإنها تظل محصورة في مجموعة مغلقة من المختصين"⁴. و من هذه الحيثية، يمتلك كل مجال معرفي لغة اختصاص يتقنها و يستخدمها أهل الاختصاص الذين ينشطون في ذات المجال.

2- خصائص وميزات لغات التخصص

1-2. على الصعيد التواصلية:

تتميّز لغات التخصص باحتوائها على سمة ثلاثية العناصر؛ الموضوع و المستخدمون و الحالة التواصلية. فالموضوع يكون محددًا و متعلقًا بميدان تخصصي معين و يهدف لإيصال معارف خاصة. أما المستخدمون فهم المتحدثون (المُرسلون و المُرسَل إليهم)، حيث يُشترط على الأقل أن يكون المُرسلون مُتقنين و مُتمكّنين من لغة الموضوع التخصصي. إنّ حلقة التواصل بين المُرسل و المتلقي تحكمها الحالة التواصلية التي تساعد المُرسل – سواء كان اختصاصيا أو وسيطا في الاتصال المتخصص على تحديد خياراته النحوية و الدلالية و التركيبية.⁵

2-2. على الصعيد المعرفي:

إنّ تحديد الخيارات يتوقف على طبيعة المُتلقّي و مستواه المعرفي بالميدان التخصصي، الأمر الذي يقودنا إلى التمييز بين ثلاث مستويات للخطاب في إطار لغات التخصص: "أولا، الخطاب التخصصي (بدرجات مختلفة ومتفاوتة من التخصص) الموجه للمختصين، و المُجسّد في مقالات البحث و المؤتمرات المنعقدة لأجل أهل

الاختصاص. ثانيا، الخطاب التعليمي؛ الموجه للموظفين و العمال عند قيامهم بدورات تكوينية أو تدريبية، كما هو الحال بالنسبة للكتب الوجيزة أو الكتب الدليل. ثالثا، الخطاب التعميمي الذي يستهدف عامة الناس، و هو ما نلمسه، مثلا، في اللغة التي تُكتب بها المقالات الصحفية التي تُعنى بإعطاء معلومات علمية للقارئ.⁶

و بعبارة أخرى، يسعى المرسل المختص من وراء استعماله للغة التخصصية إلى تبليغ رسالة معينة، متعلقة بميدان معرفي تخصصي ما، إلى المرسل إليه. إن المرسل الاختصاصي مُلزمٌ أولا بتشخيص نوعية المرسل إليه من حيث الفئة التي ينتهي إليها و كذا مستواه المعرفي، ليقوم عندئذ بتحديد مستوى الخطاب المناسب الذي من الواجب أن يكتنف تبليغ الرسالة.

3-2. على الصعيد المصطلحي:

إن أهم ما يُميّز لغات الاختصاص هو استعمالها للمصطلحات التي تمثل عنصرا هاما في حلقة التواصل بين المختصين، إذ "تستعمل لغات التخصص مصطلحات خاصة و التي يتوقف تحديد مدلولاتها على الميدان المعرفي التقني العلمي. و بناءً على ذلك، تصبح هذه المصطلحات قابلة للفهم بشكل كلي للأشخاص الذين يتقاسمون هذا النوع من المعرفة فقط".⁷ و يتضح من خلال ما تقدّم، مدى الأهمية التي تكتسبها المصطلحات بالنسبة للغات التخصص، فهي بمثابة الكلمات المفتاح التي تُمكن المختصين من التواصل فيما بينهم؛ ممّا يجعلهم يتحدثون لغة واحدة. أي أنّ "المصطلح يدخل في نطاق اللغة التخصصية، أي لغة العلوم، التي تُشكّل المصطلحات و القوالب المصطلحية الدعامية الرئيسية لها بالمفاهيم و دقائق المعاني التي تحملها".⁸

و على عكس اللغة العامة، حيث تُقرن الكلمة الواحدة بمعنى أو بمعانٍ متعدّدة، فإنّ المصطلح الواحد مقرون بمفهوم واحد في الحقل التخصصي الواحد. و هذه هي سمة «الأحادية» المميّزة للمصطلحات عكس ظاهرة «تعددية المعاني» المتعلقة بكلمات اللغة العامة.

و بخصوص الثنائية «المصطلح/المفهوم»، بوسعنا القول أنّ المصطلح عبارة عن رمز لغوي اصطلاحي ذو دلالة محدّدة و واضحة، يتمّ استخدامه في حقل معرفي معين، يُعبّر عن مفهوم ما، و ذلك بعد اتفاق المختصين عليه. و من هذه الحيثية، يُعتبر المصطلح "إفراز و نتاج عمليات بحث فكري [...] إذ يضع الباحث مصطلحا للدلالة على موضوع اكتشافه أو حدث ما يُعايشه".⁹

أمّا المفهوم، الذي يُمثّل معنى المصطلح، فهو عبارة عن تركيبة ذهنية يُكوّنها الفرد في ذهنه عن طريق عملية تجريدية يقوم بها بشكل اعتباطي. و تتكون هذه التركيبة الذهنية من مجموعة خاصيات معينة، حيث يتمّ التعبير عنها في نهاية المطاف بواسطة مصطلح معيّن.¹⁰

4-2. على صعيد التعبير اللغوي:

و في ذات الإطار، لا تفوتنا الإشارة إلى ما تتميز به لغات التخصص من دقة و وضوح و بساطة، ذلك أنّ "الغاية المتوخاة من النصوص التي يُحرّرها هؤلاء المختصين هي إعلام المُتلقّي بشكلٍ دقيق و واضح و مختصر"¹¹. و عليه، تُعتبر الدقة و الجلاء و الوضوح و الاختصار من أهم المعطيات التي تُميّز لغات التخصص.

و صفوة القول أنّ لغات التخصص هي تلك اللغات التي يُجيدها و يُتقن استعمالها أهل الاختصاص، كلّ في مجاله. و يمكننا حصر أهم ميزاتِها في استخدامها للمصطلحات، مع ضرورة تحديد الموضوع و المستخدمين و الحالة التواصلية، بما في ذلك معرفة مستوى الخطاب التخصصي. إضافة إلى اتّصافها بالدقة و الوضوح و البساطة و الاختصار.

3- لغة البحث العلمي: شروطها و خصائصها

تندرج لغة البحث العلمي؛ أي اللغة المُستخدمة في كتابة البحوث العلمية، تحت لواء لغات التخصص. و عليه، فإنّ ما سبق عرضه آنفا بخصوص لغات التخصص ينطبق تماما على لغة البحث العلمي. و بعبارة أخرى، يمكننا حصر خصائص لغة البحث العلمي وشروطها فيما يلي:

1-3. الأسلوب اللغوي:

يجب أن يميّز أسلوب الكتابة العلمية بالانسيابية و السلاسة، بمعنى أن يتم تركيب الجمل و انتقاء الكلمات و ترتيبها بشكلٍ سلسٍ و انسيابي و مرن. و لا يتأتّى ذلك إلّا بالتزام الشروط التالية: تجنب كتابة الجمل الطويلة و تجنّب الجمل التي تحتوي على عناصر كثيرة و تفادي الاستخدام المبالغ فيه للأفعال المبنية للمجهول و تجنب الجمل الاعتراضية إلّا لما تملّيه الضرورة¹². إنّ الجمل القصيرة البسيطة الموجزة السليسة و المباشرة تجعل لغة البحث العلمي مفهومةً و فعّالةً. و لا مناصّ من التذكير بعناصر الدقة و الجلاء و الوضوح و الاختصار التي يجب أن تتوافر في لغة البحث العلمي و التي تعدّ – كما ذكرنا آنفا- من أهم معطيات لغات التخصص. إنّ الصياغة الدقيقة للجمل بعيدا عن الإطناب و الحشو و التعابير المنمقة لأمّر في غاية الأهمية، إذ أنّ الباحث مُطالب بتقديم كمّ معلوماتي جيّد و واضح المعالم و بطريقة دقيقة و واضحة و موجزة.

2-3. المصطلح:

يُعدّ المصطلح – كما رأينا سابقا- بمثابة العصب الرئيسي للغات التخصص، و الأمر ذاته ينطبق على لغة البحث العلمي حيث يُفترض أن يُوظّف الباحث المصطلح المناسب الذي يتماشى و ميدان البحث العلمي الذي ينشط فيه و يُؤلّف في إطاره. و تستلزم لغة البحث العلمي استعمال المصطلحات الدقيقة الملائمة للموضوع المُتناوَل بالدراسة حتّى تكون اللغة لغةً علميّة بحق. و يحدث أحيانا أن يُكرّر الباحث نفس المصطلح مرات عدّة في نفس الفقرة، و هذا أمرٌ عادي و لا يُعتبرُ خلا في الأسلوب نظرا لأنّ قاعدة الأحادية في علم المصطلح تنصّ على إلزامية تعبير المصطلح الواحد عن مفهوم واحد في الحقل التخصصي الواحد. إنّ استخدام المصطلح أثناء الكتابة

العلمية هو ما يبعث في لغة البحث العلمي الجلاء و الوضوح و الدقة، و لذلك، فالباحث العلمي مُلزَمٌ بمعرفة المصطلحات الخاصة بالميدان الذي ينشط فيه و إدراك مفاهيمها بشكلٍ جيّد.

الاستنتاج:

على عكس اللغة العامة التي تحوي مجموعة كلمات و مفردات تكون متعدّدة المعاني في أغلبها، فإنّ لغات التخصص ترتكز في معناها و مبناها على المصطلح الذي يكون أحادي المفهوم. و رغم ظاهرة تعدّد التسميات المرادفة للغات التخصص في اللغات العربية و الفرنسية و الإسبانية، إلّا أنّها تتشارك خاصيّة أداء الوظائف نفسها؛ أي الوظائف التواصلية (الموضوع و المستخدمون و الحالة التواصلية) و الوظائف المعرفية (الخطاب التخصصي و الخطاب التعليمي و الخطاب التعميمي). بالإضافة إلى ذلك، يعدّ كلّ من المصطلح و اللغة الدقيقة الواضحة المختصرة من أهمّ مقوّمات لغات التخصص. و الأمر ذاته ينطبق على لغة البحث العلمي، التي يُشترط فيها أيضاً سلاسة الأسلوب و انسيابيته، ناهيك عن دقة صياغة الجمل و إيجازها و الابتعاد عن الأساليب اللغوية الرنانة المتكلّفة. إنّ إجادة لغات التخصص و التمكنّ منها ليس بالأمر الهين، سيما لغة البحث العلمي التي تتطلب من الباحث أن يكون على قدرٍ كبير من الكفاءة المصطلحية و الكفاءة اللغوية الأسلوبية المتخصّصة التي سبق وفصلناها آنفاً.

الهوامش:

¹ أنيس فريحة، نظريات في اللغة (ط 1؛ بيروت: دار الكتاب اللبناني، 1973 م)، ص 14.

² حلمي خليل، المولّد في العربية دراسة في نموّ اللغة العربية وتطوّرها بعد الإسلام (بيروت: دار النهضة العربية، د.ت)، ص 15.

³ محمد الديدوي، الترجمة والتعريب بين اللغة البيانية واللغة الحاسوبية (ط 1؛ الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 2002 م)، ص 15.

⁴ خالد الأشهب، المصطلح العربي البنية والتمثيل (ط 1؛ عمان: عالم الكتاب الحديث، 2011 م)، ص 30.

⁵ Silvia Montero Martínez et al., *Terminología para traductores e intérpretes* (2a edición ; Granada : Ediciones TragaCanto ; 2011), P. 93-94.

⁶ Ibid., P. 94.

⁷ Miquel Àngel Castillo Muñoz y Javier Sebastià Jordà, "El lenguaje comercial en la industria cerámica", *Español para Fines Específicos* (Ministerio de Educación, Cultura y Deporte, sin fecha), P. 212.

⁸ محمد الديدوي، الترجمة و التواصل دراسات تحليلية عملية لإشكالية الاصطلاح و دور المترجم (ط 1؛ الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 2000 م)،

⁹ شوقي جلال، الترجمة في العالم العربي الواقع والتحدّي في ضوء مقارنة إحصائية واضحة الدلالة (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 1999 م)، ص 118.

¹⁰ M. Teresa Cabré, *La terminologie. Théorie, méthode et applications*, traduit du catalan, adapté et mis à jour par Monique C. Cornier et John Humbley (Canada : Les Presses de l'Université d'Ottawa, 1998), P. 168.

¹¹ Natividad Gallardo San Salvador, "Enseñanza de la traducción técnica : La formación de traductores no especialistas", **Aproximaciones a la traducción** (Madrid : Instituto Cervantes, 1999), P. 76.

¹² محمد عثمان الخشت، فن كتابة البحوث العلمية وإعداد الرسائل الجامعية (الجزائر: دار رحاب، 1989 م)، ص 56-57.